

# **دراسة جمالية دلالية في سورة القارة**

## **(على اساس المنهج البنائي)**

**فاطمه شريفى تشنيزى**

**المدرسة في جامعة "موسسه رهيويان سيدالشهداء" - فرع قم - والمتخرجة**

**من مرحلة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وادابها - ايران**

**sharifi.fatemeh58@yahoo.com**

**الدكتور محمد حسن معصومى**

**الاستاذ المساعد في جامعة آزاد الاسلامية - فرع قم - كلية الاداب - فرع اللغة**

**العربية وادابها - ايران**

**Dr.mh.masouimi@gmali.com**

## **Aesthetics and semantics of sura- al- Qara based on the method of structuralism**

**Fatemeh Sharifi teshnizi**

**Danchah teacher "AL Rahvoyan Sidalshahda"- Qom , PhD graduateIn the  
field of Arabic language and literature , Iran**

**Dr. Mohammad Hassan Masoumi**

**Assistant Professor, Islamic Azad University , Qom , Faculty of Literature ,  
Arabic language and literature , Iran**

**Abstract:**

The distinguishing feature of the Holy Qur'an - as a pervasive and intertwined text - is its miraculous rhetorical style, and we clearly see this distinction in each chapter of the Qur'an, as well as in each verse, each of which has its own miraculous rhetorical style. . Structurally, the short surahs of the Qur'an, which are mostly Makki, are fast-paced, fast-paced, with short sentences and phrases, although each of these surahs has its own artistic characteristics and is therefore distinct from each other.

This article examines the aesthetic and semantic elements of Surah Qara'a "based on the method of" structuralism. Structuralist analytical method is one of the innovations of the late Dr. Mahmoud Bostani. Using this analytical method, this writer was able to master the artistic dimensions and literary features of the Holy Quran and put the new findings beyond the researchers.

The general purpose of this article is to reveal the literary prominences and spiritual messages of Surah Al-Qara'a using this structuralist method.

The result of the research is that in the element of structuralism, form and content in a surah are inseparable from each other and both are in the same body. Thought checked

**Key words:** Surah Qara'a , Structuralist Method , Semantics , Aesthetics .

**الملخص :**

يتميز النص القرآني كبنية شاملة متماسكة بأسلوب بلاغي معجز كما يتميز كل سورة من هذا النص بأسلوبه البلاغي اللافت وكذلك كل آية فيها.

بنائياً تتسم السور القصار للقرآن الكريم و معظمها مكية بأنها قوية عنيفة شديدة، خطابية اللهجة، قيصر الجمل بينما السور المدنية تتميز بأنها هادئة رقيقة طويلة الجمل، ولكل واحد من هذه السور خصائصها الفنية التي تميزها عن غيرها من السور.

أما سورة «القارعة» فهو الموضوع الذي وقع عليه الاختيار لندرسه بنائياً ضمن هذه الورقة البحثية نظراً لتوفرها علي بعض الخصائص الفنية اللافتة، فقد تصدينا لدرسها شكلاً ومضموناً علي أساس المنهج البنائي الذي أبدعه الاديب الراحل الدكتور محمود البستاني إذ سار علي هذا المنهج في دراسته الجمالية و الدلالية للنص الأدبي عامة و النص القرآني بوجه خاص، حيث تذوق بحسه الجمالي المرهف جوانب فنية في النص القرآني و تلمس ملامحها الأدبية؛ ثم وظف منهجه لاستلال تكلم الجوانب.

أما الغاية التي يرمي إليها هذا البحث فهي الكشف عن مكان الجمال الادبي و الدلالات الإيمانية التي تتوفر عليها هذه السورة المباركة وفقاً للمنهج البنائي - كما أشرنا - .

أما الحصيلة لهذا البحث فهي أن العنصر البنائي يهتم بالمعني العام و علاقته بالأسلوب الذي يصاغ فيه المعني ليخرج الكلام فصيحاً بليغاً مؤثراً في وجدان المتلقي.

**الكلمات المفتاحية :** القرآن الكريم - سورة القارعة - المنهج البنائي - دلالات وجماليات .

## المقدمة

خطي القرآن الكريم و هو الكلام الالهي المعجز بعبقرية بلغت شأواً بعيداً من البلاغة لاتدرك و مكانة سامية لاتباري، كما حظيت كل سورة من بخصائص بارزة، من مثل سورة «القارة» التي تميزت كلياً ببناء فني مبهر و هندسة كلامية فائقة تبعث في ملتقيها الدهشة الجمالية.

و تتجلي ملامح هذا البناء الفني و هذه البلاغة الأصلية في الشكل الفني، كما تتجلي في المضمون الايماني الراقي للسورة.

وللكشف عن هذه الخصائص البارزة لابد من توظيف مناهج تحليلية دقيقة وضعها البلاغيون و علماء اللغة قديماً و حديثاً، و من جملة هذه المناهج، المنهج التحليلي الذي ابتكره الدكتور محمود البستاني (ره) و اقترح اعتماده لدراسة النص خاصة النص القرآني بهدف استلال التواءات الدلالية و الجمالية الكاشفة عن أدبية التناج الكلامي القرآني.

و المنهج يقوم علي ثمانية عناصر هي:

١. العنصر الموضوعي
٢. العنصر الفكري
٣. العنصر اللفظي
٤. العنصر الدلالي
٥. العنصر الصوري
٦. العنصر الشكلي
٧. العنصر الايقاعي
٨. العنصر البنائي

أما في هذه الورقة البحثية فقد عمدنا إلي أبرز هذه العناصر و هي الدلالية و الايقاعية و الصورية و البنائية نظراً لتلائمها مع طبيعة النص القرآني الذي نعالجه سعياً لايضاح مكان الدلالة و الجمال فيه.

و فيما يتعلق بسابقة البحث فيمكن القول أن هنالك العديد من الدراسات قديماً و حديثاً تناولت التصوير الفني في القرآن عموماً و في قصار السور بوجه خاص؛ منها كتابا

سيد قطب «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» وكتاب «قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا» للدكتور محمود البستاني وكتاب «وظيفة الصورة الفنية في القرآن» لعبد السلام أحمد الراغب وكتاب «البعد التصويري في القرآن» للدكتور محمد سعيد الغامدي وغيرها العديد من الدراسات التي أشبعت المادة درساً وتحليلاً. كذلك تم تقديم العديد من الأوراق البحثية في الندوات والمؤتمرات العلمية القرآنية والادبية حيث خرج الباحثون من خلال تلك البحوث بنتائج مبهرة شائقة كشف عن الأبعاد الدلالية والجمالية في القرآن الكريم.

أما الغرض الذي ترمي إليه هذه المقالة هي التعريف بسورة القارعة من النواحي البلاغية المتمثلة في دلالات السورة وجمالياتها.

هذا وقد استعرضنا السورة مستخدمين العناصر المذكورة اعلاه للوصول إلي النتيجة المرجوة التي تهدف أساساً إلي تقديم خدمة متواضعة لحقل القرآنيات.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ❖ مَا الْقَارِعَةُ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ❖ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ❖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ❖ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاغِبٌ ❖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ❖ نَارٌ حَامِيَةٌ ❖ ﴾

#### المفردات اللغوية

«القارعة» البلية التي تفرع القلب بشدة المخافة، و«الفرع» الضرب بشدة الاعتماد «قَرَعَ يَقْرَعُ قَرَعًا» ومنه «المقرعة»، و«تَقَارَعُ القوم في القتال» إذا تضاربوا بالسيوف و«القرعة» كالضرب بالفال و«قوارع الدهر» دواهيته، و«الفراش» الجراد الذي ينفرش ويركب بعضه بعضاً وهو غوغاء الجراد عن الفراء، و«المبثوث» المتفرق في الجهات كأنه محمول على الذهاب فيها، و«البث» التفريق و«أبثته الحديث» إذا ألقيته إليه كأنك فرقته بأن جعلته عند اثنين، و«العهن» الصوف ذو الألوان يقال عهن وعهنة، و

«عيشة راضية» مرضية بمعنى المفعول و قيل معناه ذات رضى كقولهم فلان نابل أي ذو نبل قال:

و غَرَرْتَنِي وَ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَابَنٌ بِالصِّيفِ تَأْمُرُ  
أي ذو لبن و تمر و قال النابغة:

كَلِّينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ وَ لَيْلِ أَقَاسِيهِ بِطِيءِ الْكَوَاكِبِ  
أي ذي نصب ، و«الأم» مسكنه و مأواه الذي يأوي إلي نار جهنم ، «الهاوية» من أسماء جهنم و هي المهواة التي لا يدرك قعرها ، «حامية» شديدة الحرارة . (طبرسي، ١٤٢٦هـ ق، ج ١٠، ص: ٦٣١)

#### ١-العنصر الدلالي

هنا لك عدة اساليب كلامية نشير اليها بالاستفادة من هذه السورة منها:

اولاً) الاستفهام: تم في السورة توظيف ذكي لأسلوب «الاستفهام» الذي خرج إلي «التهويل» الذي يرمي بدوره إلي تعظيم الحادث «القارة» و التخويف منه، فالتخويف مثير نفساني يخرج المتلقي من شروده و سكونه العاطفي و خموده الوجداني، حتي يبحث عن ذاته و يعيد حساباته ثم يستعد عقائدياً و عبادياً لورود مشهد اليوم الرهيب الذي يجعل الوالدان شيئاً.

فالتلقي - إذن - يقرأ جوابه من خلال الاستفهام المطروح في مبتدأ السورة، بل يطرح الأسئلة أخرى مستعيناً بالمعطيات التي يقدمها المقام.

ثم يأتي الاستفهام التالي تأكيداً آخر علي عظمة ذاك اليوم من خلال خطاب الرسول ﷺ الذي هو في الواقع خطاب الجميع.

عموماً تم تأجيل الأخبار مرة ثانية لتأجيج التشوق إلي ما سوف يأتي فالآية مكوّنة من استفهامين، الثاني مكرّر لما سبق، و الأول متناسب مع حالة المتلقي التلهّف علي معرفة (ما أدراك...)

ثانياً) الاجمال و التفصيل: فقد فصل ما أجمل في مفتتح السورة حيث قال - تعالى -  
(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ❖ وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)  
إيضاحاً لتفاصيل اليوم الرهيب الذي أشار إليه بقوله:

## ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾

ثالثاً) التدرج: أخذ يشير النص الدهشة مستخدماً في البداية الوحدات الكلامية الصغرى، متتهياً إلى الوحدات الكبرى، ليجلب من خلال هذا الأسلوب انتباه المتلقي ليأخذه بالتدرج إلى الفكرة التي يرمي إليها النص، ليواجه واقعاً تلهف لمعرفة تفاصيله، فأسلوب التدرج أسلوب مشوق يدفع بالمخاطب إلى التطلع إلى ما ينتهي إليه أمر الحادث الم هول.

رابعاً) التفسير والابهام: يندرج هذا الأسلوب تحت مفهوم الاجمال والتفصيل ومن مصاديقه في سورة القارعة، ما نراه في قوله - تعالى - (نَارٌ حَامِيَةٌ) لقد فسرت هذه الآية الابهام الذي يعتور قوله: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ) ، أي، وأي شيء يخبرك بما هي تلك الهاوية وأنها أي شيء يكون؟ وهي علي سبيل التهويل والتفخيم ولافتوتنا الإشارة إلى التناسب الإيقاعي الذي يربط ذاك الابهام بهذا التفسير.

خامساً) التقييد: جاءت صفة «حامية» لتقيد لفظة «نار» في قوله تعالى - : (نَارٌ حَامِيَةٌ) وتوحي بدلالاتها من خلال هذا التقييد. «و في هذا إيماءً إلي أن جميع النيران إذا قيست بها ووزنت حالها بحالها لم تكن حامية، وذلك دليل علي قوة حرارتها و شدة استعارها» (المراغي، بي تا، تفسير المراغي، ج ٣٠، ص ٢٢٨).

سادساً) الاظهار والاضمار: لهذا الأسلوب فاعليته البلاغية وتحديداً في (الْقَارِعَةُ ١) مَا الْقَارِعَةُ ٢) فقد استغني بتكرير الظاهر عن أن يقال «القارعة ما هي؟»، أما السبب الفني لمثل هذا الاستخدام يتمثل في حسن تكرير الاسم الظاهر وهو «القارعة. ما القارعة» بدل «القارعة ما هي» لأن تكريره هو الأصل «لكنهم استعملوا المضمرات، فاستغنوا بها عن تكرير المضمرات إيجازاً واختصاراً، فلما أرادوا الدلالة علي التفخيم جعلوا تكرير الظاهر أمانة لما أرادوه من ذلك» (السيوطي، بي تا، الأشباه والنظائر في النحو، ص ٢١٥).

سابعاً) أسلوب الحذف: جاء النص موجزاً ذا دلالة مكثفة، ومن المعروف أن «الحذف» شكل من أشكال التعبير يتكثف من خلاله المضمون الدلالي فصاحته وإفادته و بياناً. ثم «الحذف وسيلة من وسائل إتساع النص، لأنه يلعب دوراً رئيسياً في عملية

التنبية و الايحاء و يثيرذهن المتلقي و يحمله علي الحفر في عمق العبارات و التراكيب؛ الأمر الذي يجعلها تتسع من الداخل و تفرز شحنات دلالية كثيفة و ثمة تكمن الجمالية و متعة القراءة» (ملياني، محمد، صيف ٢٠١٢، ص ٩).

### رؤية عامة:

عن الدلالة الفنية العامة للآيات الثلاثة الأولى للسورة يقول سيد قطب: « لقد بدأ بالقاء الكلمة المفردة كأنها قذيفة (القارعة) بلاخبر و لاصفة لتلقي بظلالها و جرسها الايحاء المدوّي المرهوب، ثم أعقبها سؤال التهويل (ما القارعة؟) فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش و التساؤل ثم أجاب بسؤال التجهيل ( و ما أدراك ما القارعة) فهي أكبر من أن يحيط بها الادراك و أن يلمّ بها التصوّر» (١٤٢٥هـ، ج ٦، ص ٣٩٦) و علي العموم تم توظيف جميع الامكانيات البلاغية الدلالية من تكرار و تعجب و استفهام و خطاب من أجل تحسيس المتلقي بخطورة و اهمية الحادثة التي أطلق عليها اسم القارعة.

### ٢- العنصر الصوري

اعتماداً علي هذا العنصر نستجلي الصور الفنية التي تم توظيفها في سورة «القارعة»: (أ) الصورة التشبيهية : ثمة في هذه السورة تشبيه مجمل لافت هو قوله تعالى: (...). كالفراش المبثوث؛ حيث يصور حال الناس و هم يخرجون من قبورهم فزعين، كأنهم فراش متفرق منتشر هنا و هناك، يموج بعضهم في بعض من شدة الفزع و الحيرة. و هنا نستعرض بعض اسرار هذا التشبيه علي أساس ما استشفه المفسرون فيه: قال الطبري: «... إن الفراش هو الذي يتساقط في النار و السراج و ليس ببعوض و لاذباب» (١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ، ج ١٥، ص ٣٥٩).

فهناك - إذن - مناسبة بارزة بين الفراش في «الفراش المبثوث» و «نار حامية» لأنّ الناس شأنهم، شأن الفراش الذي يتهافت علي النار. قال الألوسي: «الفراشة طير رقيق يقصد النار و لايزال يقتحم علي المصباح و نحوه حتي يحترق» (١٤٢٦هـ، ج ١٥، ص ٥٦٧). أمّا القرطبي فله لفظة بلاغية رائعة في تبيان هذه الصورة تكشف عن وجه آخر من المناسبة القائمة بين تشبيه الناس بالفراش في هذه السورة و تشبيههم

بالجراد في سورة «القمر» فيقول: «فأول حالهم كالفراش لاوجه له، يتحير في كل وجه، ثم يكونون كالجراد لأن له وجهاً يقصده»

(١٤١٦ هـ، ج ٢٠، ص ١٦٥)، والظاهر أن الانتشار - من منظور آخر - يجمع بين التشبيهين أيضاً: تشبيه الناس عند البعث بالفراش المبعوث و تشبيههم بالجراد المنتشر ولكن هناك فرق في طبيعة الحركة؛ فالفراش يطير لوجه يقصدها؛ أما الجراد فتطير جميعاً لجهة مقصودة، لذلك قال بعض المفسرين إن الوصف في الآيتين لموقفين مختلفين يوم القيامة: أحدهما عند الخروج من القبور، حيث يخرج الناس فزعين لموقفين مختلفين يوم يتوجهون فيدخل بعضهم في بعض، و الثاني عند سماع المنادي فيستحيون له و يقصدونه فصاروا كالجراد المنتشر

إذن وجه الشبه بين الظاهرتين (الناس و الفراشة) يتمثل في «أن الفرّاش إذا ثار لم يتجه إلى جهة واحدة بل كل واحدة تذهب إلى غير جهة الأخرى، فدلّ علي أنهم إذا بعثوا، فزعوا» (الصابوني، ١٤١٦هـ، ج ٣، ص ٥٦٩)

و عموماً لهذه الصورة المدهشة إيماءات يمكن إيجازها كمايلي:

١. الإيماء بالحقارة و الهوان

٢. الحركة المضطربة علي غير هدي

٣. التداخل و التراكب

٤. الكثرة غير المتجانسة في الأشكال و الألوان

٥. ارتقاب التهافت علي النار بعد حين

٦. حالة الغفلة و الشرود

أما في الصورة التشبيهية الثانية و هي قوله تعالى: (وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) فقد تم فيها استخدام اسلوب «حسن الاختيار» أيضاً كما لاحظنا في الصورة السابقة، فالجبل كائن عظيم يرافق في المخيال البشري بالثقل و الخلود ثم هذا الكائن يتحول في يوم رهيّب كيوم القيامة إلي كائن ضعيف هو الصوف و الذي مرتبط بالأذهان بمعني «الخفة»، فالإثارة تتمثل في قوة الجبل و عظمتة و صلابته حين يتحول إلي الصوف الخفيف ، و لفظة «الجبل» في القرآن الكريم لها إيماءها الخاص و دلالتها المعينة «لقد



كثرت في القرآن ذكر حال الجبال يوم القيامة، فقال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ ﴿نمل: ٨٨﴾ وقال: ﴿وَكُنْتَ لِلْجِبَالِ كِيبًا مَّهِيلًا﴾ ﴿مزل: ١٤﴾ وقال: ﴿وَسِيرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ ﴿نبا: ٢٠﴾ كل ذلك ليعين أن هذه الأجسام العظيمة التي من طبعها الاستقرار والثبات، تؤثر فيها هذه القارة فما بالك أيها المخلوق الضعيف الذي لا قوة له» (المراغي، همان، ص ٢٢٦).

أما قيد «المنفوش» في «كالعهن المنفوش» جاء مبالغة في تفريق الصوف. و هنا لك مناسبة بين مفردتي «المبثوث» و «المنفوش» إذ يجمعها مفهوم الانتشار. و إذا ما انتقلنا من مستوي المفردات إلي مستوي العبارات، نلاحظ إن هناك صورتين منتزعتين من التشبيهن، فالصورة الأولى منتزعة من العالم الإنساني: (النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) والصورة الثانية من العالم الطبيعي، ويكون كل صورة - إذن - نموذجاً تمثيلاً لما يقع في عالمها.

أما صاحب صفوة التفاسير فيشير إلي الغرض الذي ترمي اليه الصورتان قائلاً: «جمع بين حال الناس و حال الجبال تنبيهاً علي أن تلك القارة أثرت في الجبال العظيمة الصلبة حتي تصير كالصوف المندوف مع أنها غير مكلفة، فكيف بالانسان المقصود بالتكليف والحساب» (الصابوني، همان، ص ٥٦٩).

و فيما يتعلق بدرجة المشابهة في الصورتين، فإنها تمثل الدرجة المتوسطة من المشابهة و ذلك لاستخدام أداة أي «الكاف» فيهما.

ب) الصورة المجازية: لقد تم توظيف عدة صورة مجازية في نص السورة تتمثل اولها في قوله تعالى: (مَا الْقَارِعَةُ) فهو مجاز مرسل مركب؛ لأن الاستفهام يراد به التحويل و التعظيم، أما العلاقة، فلأن الأمر العظيم من شأنه أن يستفهم عنه، فصارا التعظيم و التحويل مع الاستفهام متلازمين. كما يمكن اعتبار الصورة كناية لأنها لم تصرح بالتعظيم و التحويل و إنما كنت عنها.

أما في قوله تعالى: (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) صورة أخرى هي المجاز العقلي، للملابسة العيشة حالة صاحبها و هو العائش، ملابسة الصفة لموصوفها - هكذا يري المفسرون - كذلك يذهبون في إيضاح الصورة إلي أن الراضي هو صاحب العيشة لا العيشة،

فوصفها العيشة بالراضية - إذن - من باب إسناد الوصف إلي غير ما هو له الذي الغرض منه هو المبالغة، لأنه يدل علي شدة الرضي بسببها حتي سري إليها. و يري مفسرون آخرون أن المقصود من «عيشة راضية» هي «عيشة مرضية» و هي أيضا من المجاز العقلي باعتبار اسناد ضمير الفاعل إلي المفعول، كما قال - سبحانه و تعالى - : ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ﴿طارق:٦﴾ أي من ماءٍ مدفوق - حسب مايقوله البلاغيون - .

و يري الدكتور محمود البستاني أن «المقصود من ذلك هو إكساب العيش سمة بشرية هي الرضي، فتكون استعارة، و حينئذ يتحد كل من العيشة و الانسان في مظهر الرضي» (١٤٢٤هـ، ج٥، ص٣٩٥).

و يري البعض أن الصورة هي المجاز المرسل علاقته المحلية، لان الذي يرضي بها الذي يعيش فيها. و سواء أكانت الصورة الفنية هذه مجازاً عقلياً باسناد الضمير الفاعل إلي المفعول أم كانت استعارة أم كانت مجازاً مرسلأً، فان الغرض الذي يجمع الصورتين هو المبالغة في صفاء العيشة التي يمارسها الصالحون في اليوم الآخر.

و من الصور المجازية في قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) ما أشار إليها فخرالدين الرازي مستنداً في ذلك إلي أقوال بعض المتكلمين حيث يقول: «قال المتكلمون إن نفس الحسنات و السيئات لا يصح وزنهما، بل المراد إن الصحف المكتوبة فيها الحسنات و السيئات توزن» (١٤٣٣هـ، ج١٦، ص٢٩٨).

#### رؤية نقدية:

نلمس في هذا الفهم أوالتلقي ملمح الاتجاه العقلي في التعامل مع النص إذ يتحاشي هذا الاتجاه التأويل الذوقي و الباطني بل ينطلق من الفهم العقلي الصارم للكلام الالهي، الا أن هذا الفهم - كما يري بعض النقاد - يؤخذ عليه عليه باعتبار أنه يحجم النص و يجعل منه ظاهرة جافة لاتخضع الا لرؤية فلسفية أو كلامية دون الذوق الأدبي. (ج) الصورة الرمزية: من خواص الصور الرمزية أنها مرشحة لدلالات متعددة، مما يزيد من القيمة الأدبية للنص و التي تكتب له الخلود و الديمومة و من جملة هذه الصور تلك التي نلمحها في قوله تعالى: (فَأَمَّهُ هَآوِيَةً)

فقد ذكر أهل الاختصاص عدة معانٍ متقاربة لهذه الصورة؛ منها:

١. المراد بأمّه، مأواه وهي النار وأن الهاوية من أسماء النار
٢. المراد بأمّه، رأسه وأن الهاوية من الهوي فيلقي في النار منكساً رأسه يهوي في النار.
٣. قال قتادة «هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، قال: هوت أمّه» (الطبري، همان، ص ٣٦٠).

و ثمة تعبيران رمزيان في السورة هما: (مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) و (مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ)؛ حيث يرمز الأول إلي كثرة الخيرات، كما يرمز الثاني إلي قلة الخيرات. أما الشيخ المراغي فيقول: «كأنه إذا وضع في ميزان كان له رجحان و إنما يكون المقدار و القيمة لأهل الأعمال الصالحة و الفضائل الراجحة» (همان، ص ٢٢٧). و عن الرمز في الصورة الثانية يقول: «أي سقطت قيمته فكأنه ليس بشيء حتي لو وضع في كفة ميزان لم يرجح بها علي أختها، و من كان في الدنيا كثير الشر قليل الخير فدسي نفسه بالشرك و اجتراح المعاصي و عاث في الأرض فساداً لم يكن شيئاً فلا ترجح له كفة ميزان لو وضع فيها» (همان).

هذا و يشكل النص بأمكه صورة فنية مستقلة متكاملة تكاد تشبه لوحة فنية ينهر المشاهد بجمالها و روعتها.

### ٣-العنصر الایقاعي

ثمة في هذه السورة ايقاعات تم اختيارها مقصوداً لايحاء دلالات بينهما و ذلك من خلال منظومتين صوتيتين هما: أ. الايقاع الخارجي ب. الايقاع الداخلي  
(أ) الايقاع الخارجي المتمثل أولاً: في محسنات بديعية تخلق في النص نغماً محدداً لتعميق الدلالة منها:

١. الجناس: وقبل أن نذهب الى اسورة المباركة يجب أن نعرف أن الجناس من اجمل الفنون ابديعية و«له أثر موسيقي قوي علي السامع ينبع من تكرار الحروف و ترديدها و هو ينشط الذهن و يطرد السامة و يسهم اسهاماً كبيراً في إيضاح المعني و زيادة الإفادة، و هو لا يكون كذلك إلا إذا جاء عفواً الخاطر و سمع به الطبع من غير أن تبدو عليه لوثة الصنعة و التكلف و الآ شوه العبارة و ادي إلي التعقيد» (عبدالحميد خليفة ، احمد ،مقالة:بلاغة الجناس في القرآن) ، والجناس هنا بين «المنقوش» «المبثوث» و «ثقلت» و «خفت» و «هاوية» و «ماهية».

٢. السجع: صيغ النص صياغة مسجوعة تضيف عليه مسحة صوتية حاملة و هذا ما نلمسه في قرار الآيات في السورة من قبيل:..... الميثوث و .... المنقوش و..... عيشة راضية.... أمه هاوية..... ماهية..... هاوية.....

٣. التوازن: بين الآيات من قبيل التوازن القائم بين: يكون الناس كالفراش الميثوث و تكون الجبال كالعهن المنقوش، و التوازن من أهم خواص شعرية النص.

٤. التقابل: بين «حقّت» و «ثقلت» علي مستوي اللفظة، أما علي مستوي الدلالة العامة للنص فهناك تقابل بين الصالحين و الطالحين إذ أنتم يتقابلون في ثقل الموازين و خفتها و كذلك حالتهم يوم القيامة إذ تكون الطائفة الأولى في سرور و حبور و الطائفة الثانية في ضيق و شقاء و مجموعها الحالة السائدة علي مشهد ذاك اليوم العظيم و هو الحالسة العامة للذين حشروا كالفراش الميثوث و في جو مرعب تكون فيه الجبال كالعهن المنقوش.

ثانياً: الايقاع الخارجي المتمثل في تقنية توظيف المقطع الطويل المفتوح و تكراره خمس مرّات و التي تعكس التناسب السائد علي اللفظ المغنم و الدلالة، و يخصّ هذا الايقاع الآيات الثلاثة الأولى للسورة.

و قد أوضح أحد الباحثين هذا الايقاع الموحى «في الآيات الثلاثة الأولى: (القارعة ﴿ ما القارعة ﴾ و ما أدراك ما القارعة) علي النحو الآتي:

«ع-ل / ق- / ر- / ع-ه /

م-ل / ق- / ر- / ع-ه /

و- / م- / ع-د / ر- / ك- / م-ل /

ق- / ر- / ع-ه /

ق- : ثلاث مرّات

م : مرة واحدة

ر- : مرة واحدة

والمجموع يكون أن المقطع الطويل المفتوح خمس مرّات، و يلحظ أن ما يبعث به التكرار المقطعي ينسجم و ما جاء به أصحاب التفاسير القرآنية الكبار، إذ تكرر المقطع

الواحد في ثلاث آيات و هو الطويل المفتوح ق- لينم عن قوة أثر اللفظة و معناها الوقوع» (الشمس، م.م. خالد حوير، تموز ٢٠١٢، العدد: ٨)

نقول: إضافة إلي هذا الخاصية الصوتية لتكرار حرف «القاف» فهي صوتياً حرف شديد مفخم يتناسب مع الموقف المحصول و هذه خاصة ذاتية لهذه الحرف. كما أن حرف «الشين» و كذلك حرف «الثاء» هما من الحروف التي تدل علي الانتشار و التفشي في لفظيتي « الفراش» و «المنفوش» و كذلك في « المبثوث»

ب) الايقاع الداخلي: المقصود من هذا الايقاع هو توفر النص علي نغمة في وحداته الصغرى و الكبرى تتناسب مع الدلالات التي يرمي إليها، كما نشهد في سورة القارعة حيث تتوفر علي نغمة شديدة تتناسب مع مشاهد القيامة و بتعبير آخر تظهر عناصر الشدة و القوة في نغمة الآيات: (القارعة ❖ ما القارعة ❖ و ما أدراك ما القارعة).

و عموماً من اسباب اختيار هذا الايقاع (الايقاع الداخلي) التأثير النفسي في جانب المتلقي من خلال اختيار الفاظ معينة ذات جرس خاص لإشاعة جرس شامل موحد في السياق بحيث يتلاءم مع دلالاته العامة أو بما يساعد علي تثبيت أطر الصورة المرسومة و يحقق ظلالها المعنوية.

#### رؤية نقدية

عندما نرصد الدرجات الايقاعية أو التغميمية في سورة القارعة من جناس و سجع و تقابل و توازن، تري أن هناك اتساق صوتي يتمثل في العلو حيث تتماثل الأصوات أو في الهبوط إذ تتشابه أو تقرب من مخارج بعض. إن هذا الاتساق الصوتي هو سر غواية النص و هو ما يستدرج المتلقي للتأثير فيه و تفعيل احساسه للتعامل مع الموقف. علي هذا الأساس لا يمكن اعتبار هذا الاتساق ظاهرة طارئة علي النص لأنها جزء لا يتجزأ من بنية المتن، و الدليل علي ذلك أننا لانستطيع إذالته هذه الظاهرة و الإبقاء علي بناء النص الغني في نفس الوقت، فالوحدات الصوتية منبثقة من داخل النظام الكلامي، لذلك فإن هذه الوحدات هو شيء أعمق من مجرد إضافة عنصر ثانوي.

#### ٤-العنصر البنائي

إن المقصود من العنصر البنائي أقرب ما يكون إلي مفهوم «الوحدة العضوية» للنص و الذي طرحه النقاد ليكون منهجاً لاستيعاب النص و فهمه فهماً أدق، كما هو قريب

من مفهوم التناسب الذي بحث عنه علماء القرآنيات، حيث كشفوا من خلاله عن العلاقة البنائية بين مستويات النص وتحديدًا بين الآيات و السور في تفاصيلهما.

ولاتفوتنا الإشارة إلي أن العنصر البنائي يختلف في بعض تفاصيله عن مفهوم «النبوية» التي هي مفهوم أوسع و أشمل من هذا العنصر في مفهومه القريب من علم المناسبة. فالدراسة النبوية تغطي الوقائع الداخلية للنص في مستوياته الصرفية و التركيبية و المعجمية و الدلالية و الإيقاعية، كما تغطي كل ما يتصل بالنص من الظروف و الملابسات المحيطة به من الخارج ليدرس في النهاية الموقع الاستراتيجي له في نسق الثقافة.

و عموماً يمكن اعتبار العنصر البنائي أو علم المناسبة صورة غيرمكتملة من صور النبوية في مفهومها العلمي الحديث، كما يمكن اعتباره صورة من مفهوم صور «النظم» لدي علماء القرآنيات، حيث هو أحد مصاديق الاعجاز القرآني و فيما يتعلق بسورة القارعة و صلتها البنائية لما قبلها يقول الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره «المنير»: «ختمت السورة السابقة بوصف يوم القيامة: أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور و حصل ما في الصدور، إن ربهم بهم يومئذ لخبير، و أعقبتها هذه السورة برمتها بالحديث عن القيامة وصفها الرهيب و أهوالها المخيفة» (١٤١١هـ ، ص ٣٧٤).

أما الدكتور محمود البستاني فيكشف عن هذه البنية العامة للسورة قائلاً: «هذه السورة تتناول اليوم الآخر من حيث مراحل الثلاث: الانبعاث و المحاسبة و المصائر النهائية، فيما تتم صياغة هذه المراحل من خلال وحدة فكرية تنظم السورة و تخضعها لعمارة محكمة ممتعة تتضمن عنصراً قصيصاً و صورياً و إيقاعياً تصبّ جميعاً في الرافد الفكري المشار إليه» (همان، ص ٣٩٠).

و يقول عن التناسب المتعلق باختيار الجبال مشبهاً به في التشبيه الثاني و مكانة هذه اللفظة بنائياً في نص السورة: « قد اختار الجبال دون السماء و دون الأرض و دون البحار و غيرها، فلأن الجبل يتسم بالضخامة و بالصلابة و الشموخ و حيثئذ يكون انتخابه دون ما يشاهد و يلمس حسياً متناسباً مع فكرة النص التي تستهدف إبراز دلالة و الهول عند قيام الساعة» (همان، ص ٣٩٣-٣٩٤).

**خطاب النص**

إنّ خطاب سورة القارعة كغيرها من السور، خطاب يقتضي إقناعاً و تأثيراً في المخاطبين، حيث هم و بالنظر إلي البناء العام للنص نوعان: نوع يذكر داخل النص و هو قسمان: قسم يذكر باسمه أو لقبه أو ضمير الخطاب الذي يعنيه؛ مثل خطاب الرسول □ و خطاب المؤمنين و خطاب الكافرين و خطاب بني اسرائيل، و قسم مذكور ولكنه غير معين (عام) من نحو قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿النمل: ١٤﴾ علي رأي من اعتبر الخطاب لغير معين و قد يكون الخطاب للرسول □.

أما النوع الثاني من المخاطبين فهو واقع خارج النص غير مذكور فيه لكنه يعني بخطاب القرآن الكريم و يعني جمهور السامعين و القراء علي اختلاف العصور و الأمكنة.

و بشكل عام اختزلت السورة تاريخ القيامة في لحظتين:  
الأولي: لحظة الابتداء حين يخرج الناس من الأجداث كالفراس المبعوث في العالم الدنيا، حيث تم من خلاله التأكيد علي البعث.  
و الثانية: لحظة الانتهاء و ذلك حين يستقر كل فريق في مأواه، إذ يؤكد هذا علي الجزاء أو التقسيم.

**رؤية نقدية:**

إجمالاً يهتم العنصر البنائي بالمعني العام و علاقته بالأسلوب الذي يصاغ فيه المعني ليخرج الكلام فصيحاً بليغاً مؤثراً في وجدان المتلقي.  
و يري التقليديون من اهل البلاغة أن الصياغة الاسلوبية التي عبروا عنها ب «النظم» هي التي تساهم في ترسيخ الدلالة في المخاطبين، الا أن بعضهم يذهب إلي أن مستويات التلقي ليست واحدة لدي القراء، فعلي سبيل المثال، يري الخطابي أن البنية الفنية المعجزة لايتعامل معها فهماً الا القليلون، لذلك يؤكد أنه: « ذهب فيه الناس فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم و ذلك صنيعة بالقلوب و تأثيره في النفوس، فانك لاتسمع كلاماً غير القرآن منظوماً و لامثوراً إذا قرع السمع خلص إلى القلب من اللذة و

الحلاوة في حال و من الروعة و المهابة في أخرى ما يخلص منه إليه تستبشره النفوس و تنشرح له الصدر» (١٤٢٧هـ، ص ٥٧).

إذن ينبغي للمتلقي أن يتمتع بثقافة أدبية و حضارية غنية تمكنه من استيعاب الدلالات الكامنة في النص، فيجد ربه أن يطلع جيداً علي أسرار استخدام لفظة دون أخرى أو تركيب دون آخر داخل النص، فيعرف مثلاً لماذا تم اختيار ظاهرتي «الفراس» و «الجلبل» و تقيدهما ب «المبثوث» و «العهن المنقوش» لإيضاح حالة الناس و الطبيعة في يوم القيامة؟ و ما هو سر التناسب القائم بين الصورتين التي تم جلبهما من النيق البعيد-حسب تعبير عبدالقاهر الجرجاني-؟

كما يجدر به أن يطلع علي أسباب الابتداء بالخطاب العنيف اللافت في مثل هذه السور القرآنية. و ما أغراض هذا الخطاب الحاد في صعوبة و هبوطه جمالياً و دلاليًا؟ و أين يكمن أسرار اختيار نغمة محدّدة لهذه السورة دون الأخرى و مدي تناغمها مع موضوعات السورة؟ و كيف أن خطاب الناس جاء من خلال خطاب الرسول □ مباشرة أو غير مباشرة؟ و لماذا تم اختيار لفظة «الموازين» لقياس الخفة و الثقل؟ و هل المقصود من الموازين هو نفس مفهومها المتعارف أم يقصد بها دلالتها المجازية و ما إلي ذلك من تساءلات ترتبط ببلاغة النص و لا بد للقاري أن يتوفر عليها؟ لمعرفة النظم أو الإعجاز الذي لا يمكن الالمام بها إلّا بالنظرة المستوعبة الشاملة و الرؤية المتعمقة الفاحصة للنص و معرفة صلة اجزاء، بعضها مع بعض.

### النتائج و التوصيات

من خلال هذه الجولة السريعة في سورة القارة و التي سعت إلي الكشف عن الدلالات و الجماليات المتوفرة فيها توصلنا إلي النتائج التالية:

الاول: لهذه السورة مثل أي سورة أخرى خصائص فنية بارزة تتميز بها، بل هي خصائص ليس لأحد من البشر أن يباريها و إن بإمكانه أن يتمثلها.

الثاني: يكشف المنهج البنائي باعتباره منهجاً مستحدثاً عن بلاغة سورة القارة في بعدها الجمالي و الدلالي، بل عن بلاغة القرآن الكريم كنسيج فني متماسك و من ثمّ الاخراج بنتائج مذهلة.



الثالث: لا ينفك الشكل عن المضمون في نص السورة بل كلاهما يحشران حشراً في جسد واحد، لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر كما الروح والجسم مادام الكائن حياً. الرابع: ليس البناء الفني أو البعد الجمالي في النصوص المقدسة غاية في حد ذاته. وإنما يرمي إلي تعميق المفاهيم الإيمانية التي هي الجوهر الأساس لانقاذ البشر و اخراجه من الظلمات إلي النور.

الخامس: ينبغي للادباء و اهل البلاغة عامة الاستيحاء من أدب القرآن الكريم سواء في شكله أم في مضمونه و توظيف هذا الادب الغني في أعمالهم الادبية و نتاجاتهم الكلامية؛ فمثل هذا التوظيف يكسو تلكم الاعمال و النتاجات رونقاً و جمالاً و بهاءً.

أما التوصية التي نوجهها الي الذين يتعاطون النصوص المقدسة قرآناً كان أو حديثاً فهو التركيز بشكل جوهري علي الجوانب الفنية و الابعاد الجمالية البارزة في هذه النصوص باعتبارها ظواهر أساسية تكشف عن أهم خصيصة في القرآن الاوهي خصيصة الإعجاز الذي به يعرف سماوية الكتاب العزيز، كما يعد آلية مبدئية للامتاع و الاقتناع فالهداية.

#### قائمة المصادر والمراجع

- إن خير ما نبتدىء به القرآن الكريم
١. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود. ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. روح المعاني (في تفسير القرآن العظيم) و السبع المثاني. القاهرة: دار الحديث.
  ٢. البستاني، محمود. ١٤٢٤ هـ ق، ١٣٨٢ هـ ش. التفسير البناي للقرآن الكريم. الطبعة الاولى. ايران - مشهد: مجمع البحوث الاسلامية.
  ٣. الخطابي، حمد بن محمد بن ابراهيم. ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م. بيان اعجاز القرآن. الطبعة الاولى. طنطا: دار الصحابة للتراث.
  ٤. الرازي، فخر الدين. ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، القاهرة: دار الحديث.
  ٥. الزحيلي، وهبة. ١٤١٦ هـ - ١٩٩١ م. التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج. الطبعة الاولى. لبنان - بيروت: دار الفكر.

٦. السيوطي، جلال الدين. بي تا. الاشباه و النظائر في النحو. بيروت: دارالكتب العلمية.
  ٧. الشمس، م.م خالد حوير. تموز ٢٠١٢. البنية المقطعية في سورة القارة، مجلة كلية التربية الاسلامية. كلية الآداب :جامعة بابل. العدد: ٨.
  ٨. الصابوني، محمدعلي. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. صفوة التفاسير. الطبعة الاولى. بيروت - لبنان: دارالفكر.
  ٩. الطبرسي، فضل بن حسن. ١٤٢٦ هـ ق، ١٣٨٤ هـ ش. مجمع البيان في تفسير القرآن. الطبعة الاولى. قم: دارالأسوة للطباعة و النشر .
  ١٠. الطبري، محمد بن جرير. ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت - لبنان: دارالفكر.
  ١١. القرطبي، محمد بن احمد. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. الجامع الأحكام القرآن. الطبعة الاولى. بيروت - لبنان: دارإحياء التراث العربي.
  ١٢. قطب، سيد. ١٤٢٥ هـ ق. في ظلال القرآن. الطبعة ٣٥. بيروت - لبنان: دار الشروق.
  ١٣. المراغي، احمد مصطفى. بي تا. تفسير المراغي. الطبعة الاولى. بيروت - لبنان: دارالفكر.
  ١٤. ملياني، محمد. صيف ٢٠١٢ م. جمالية النص من منظور الدراسات الاسلوبية، مجلة الكلمة، مجلة فصلية. السنة التاسعة عشرة :العدد ٧٦.
- مصادر الأنترنت :
١. خليفة عبد الحميد، احمد. بلاغة الجناس في القرآن. كلية الجامعة بمكة المكرمة.
- ٥٠٩٢٠٥http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=